مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 620-641
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

ثورة فليتة بقيادة سي لزرق بلحاج عام 1864ضد الاستعمار الفرنسي دراسة من خلال الارشيف والكتابات الفرنسية

Flita revolution leading by Si Lazreg Belhadj in1864 against French colonialism, study through archives and French writings.

العربي بوعناني ♦
جامعة ابن خلدون - تيارت larbihis16@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/08/03 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات التاريخية الحديثة التي تتجه اليوم الى ابراز كثير من الحقائق التي يتوفر عليها ارشيف ماوراء البحار بفرنسا في مدينة آكس آون بروفنس وارشيف فانسان بباريس . نحاول من خلال هذه المساهمة التاريخية التعريف بمقاومة شعبية كتب عنها الكثير، لكن هناك جوانب كثيرة لازلت تحتاج الى من يرفع عنها الغطاء. فثورة فليتة بقيادة سي لزرق بلحاج عام 1864، خاضت معارك شرسة ضد الاستعمار الفرنسي و أعوانه. وتمكن سي لزرق بلحاج من اقناع معظم القبائل المنتشرة في غرب تيارت وغليزان والشلف وبالانضمام للثورة واجرى اتصالات بالقيادات ذات النفوذ للحصول على الدعم ومساندة الثورة. هاجم معسكرات الجيش الفرنسي في الرحوية وعمي موسى ودار بن عبدالله، والحق بها حسائر فادحة، وعاقب كل من تعاون مع جيش الاحتلال. مما دفع بفرنسا الى استدعاء قوات اضافية من فرنسا ووهران لدعم القوات المرابطة في كل من مستغانم ومعسكر وتيارت والشلف ، اسندت قيادتها لجنرالات اكتسبوا خبرة كبيرة من خلال المعارك التي خاضوها ضد المقاتلين الجزئريين. وتم محاصرة الثوار من كافة الجهات، ودارت معركة حامية الوطيس انتهت فصولها باستشهاد زعيم المقاومة يوم 4 جوان 1864. استمرت المقاومة في مناطق عديدة تسجل بعض الانتصارات ولم يتمكن قادة جيش الاحتلال من القضاء عليها الا بعد عزلها في الجبال والمرتفعات، واستنجد ببعض الزعامات المؤثرة لحث الثوار بالتخلي عن المقاومة.

الكلمات المفتاحية: المقاومة؛ غليزان؛ القرن التاسع عشر؛ فليتة؛ سي لزرق بلحاج.

♦ المؤلف المرسل

Abstract

This article is aiming to highlight many realities contained in the archives of the French Department of Over-Sea situated in Aix-en-Provence and Vincent. Through this historical contribution we are trying to shed light on one of the Algerian revolutionary leaders

The Flita has undertaken many fierce battles against the French colonialism under the leadership of Si Lazreg Belhadj who convinced most of the tribes living in western Tiaret, Relizane and Chlef to be among the insurgents. He has been in contact withits leaders to back up his revolt. Si Lazreg Belhadj has attacked the French military camps in Rahouia, Ammi Moussa and Dar Ben Abdellah. He has also imposed sanctions on French army supporters.

As aresult the French army has to be backed up by auxiliary troops from Oran and France which have been assigned to French generals who were used to crack down the Algerian rebels. With these troops the French army killed Si Lazreg Belhadj on 4 June 1864. However, the Algerian revolt has not stopped untilits isolation in the mountain regions and the assistance of some local influen tchieftains.

Keywords: The resistance , Relizane , Si Lazreg Belhadj, Flita, Nineteenth century

1- مقدمة:

شهدت منطقة غليزان بعد اخضاع قبيلة فليتة سنة 1845 على يدي لامورسيار وبورجلي هدوءا حذرا استمر الى غاية 1863 تخللته مناوشات واشتباكات غالبا ماتم اخمادها بسرعة، لكن صدور مرسوم 1863 حرك المياه الراكدة، عندما شرعنت فرنسا قانون سيناتوس كونسيلت الرامي الى تسهيل عملية نقل الارض العرشية الى ملكية خاصة. ان الارض هي مصدر العيش والاستقرار وهي فوق ذلك رمز الكرامة الوطنية التي يعتز بالدفاع عنها كل جزائري حر، والشيء غير المفهوم في هذا المرسوم انه اضفى صبغة قانونية على نهب واغتصاب الاراضي التي اخذت من القبائل. اضافة الى انشاء المراكز العسكرية والقرى الاستيطانية و مد الطرقات على حساب اراضي الفلاحين شجع قبيلة فليتة بزعامة الثائر سي لزرق بلحاج الى تعبئة السكان لمواجهة العدوان الفرنسي، وذلك باستهداف المؤسسات الفرنسية، وحرق مزارع وممتلكات المعمرين، مما اجبر فرنسا الى تجنيد قوات كبيرة لاخمادها، وانتهت هذه الثورة بمقتل زعيما سي لزرق بلحاج.

والراجح ان هذه الدراسة لم تحظ بعناية المؤرخين الذين افردوا لها حيزا من البحث لم يصل الى تغطية كافة الجوانب المتعلقة بالعمليات العسكرية التي خاضها جيش الاحتلال.و مقاومة قبيلة فليتة التي الحقت خسائر كبيرة بالجيش الغازي في الارواح والممتلكات والتي لم يشير اليها قادة الاحتلال في مذكراتهم، واكتفوا بتسجيل بطولاتهم وانتصاراتهم على السكان، ومع ذلك تمكنا من الحصول على بعض المعلومات حول المعارك التي دامت ساعات واخرى ايام اشار فيها جيش الاحتلال الى عددالقتلى في صفوف المقاومين دون الاشارة الى عدد قتلاه ! وهذه الارقام غالبا ماتصدر عن جيش الاحتلال الذي تكتم عن اعطاء احصائيات حقيقية عن عدد القتلى في صفوفه. رغم ان المعارك اخذت وقتا طويلا.؟

وتتمحور اشكالية الموضوع حول توقيت هذه المقاومة و علاقاتها بثورة اولاد سيدي الشيخ، ثم تأثيراتها على المد الثوري الذي اجتاح معظم التراب الوطني في عقد الستينات.

2- التعريف بقبيلة فليتة:

يحد قايدة فليتة شمالا آغاليك الغرابة، وآغاليك مجاهر، شرقا آغاليك الشرق، جنوبا وغربا آغاليك الحشم الشراقة.

تنحدر قبيلة فليتةحسب رواية ابن خلدون من قبائل سويد بن مالك وهم من قبائل زغبة العربية من بني هلال، اتخذوا من الجهة الغربية لشلف مستقرا لهم. ان اسم فليتة مشتق من التفلت والذي يعني التحرر وعدم الخضوع للاجنبي كما جاء في رواية أوزاس كولات (Auzas Colette).[1]بينما يذكر المرحوم الشيخ المهدي البوعبدلي، ان اسم فليتة مشتق من التفلت اي افلت تفلتا اي انهاحافظت على وحدتها ولم تتفلت في الفيافي والقفار.[2] وفي المنجد الابجدي جاء فعل تفلت بمعنى تخلص، وعليه يكون المعنى الذي ذكره أوزاس اقرب الى الصواب.[3]

1- Colette- Auzas.Bulletins et mémoires de la société de Paris . Les Flittas étude ethnologique et sérologique. P330 ,332

2- سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببايليك الغرب واثرها على مقاومة الامير عبد القادر (1832-1847) مقاربة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية(آغاليك مجاهر، قايدةفليتة، آغاليك الشرق أنموذجا) رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2010-2011. ص 26.

3- المنجد الأبجدي ، دار المشرق ش.م.م. المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط8، 1986.

تتكون كونفدرالية قبيلة فليتة من أربع بطون وهي:

- العناترة وهم من أصول بربرية.

2- فليتة المهل جاؤوا مع الفتح العربي ومنهم الشرفة اولاد سيدي علي بن يحي الشريف الذي وصلوا الى المغرب الاوسط قادمين من المغرب الاقصى خلال القرن الثاني عشر الميلادي.

وهي تضم احدى عشر بطناوهم:(الحساسنة، اولاد سويد، بنيدرغون، اولاد رافع، اولاد يحي، بني لوما، بني اسعاد، اولاد راشد، اولاد بركات، اولاد بلحايا و اولادد عامر.)

3- الحراتزة المرابطين والذين ينتسبون الى محمد بن عيسى الحراتزي جاؤوا الى المنطقة في حدود القرن الخامس عشر الميلادي. استقروا في نواحي ووسط زمورة.

4- فليتة الشرفة وتتكون من ستة بطون ت وهم : اولاد سيدي يحي بن احمد، اولاد سيدي يحي(دار بن عبد الله.)، اولاد سيدي احمد بن محمد، اولاد سيدي لزرق، اولاد سيدي الشولي، (الشوالة) والشرفة العمامرة.[4]

3- التعريف بوثايق الارشيف الفرسي:

يشكل مركز الأرشيف الفرنسي بمدينة آكس اون بروفنس وقصر فانسان بباريس، المعروف بأرشيف ماوراء البحار واحدا من أهم دور المحفوظات الفرنسية التي تتوفر على كم هائل من الوثائق الارشيفية التي تؤرخ لمختلف جوانب الحياة العسكرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للجزائريين طيلة المرحلة الاستعمارية، وخاصة فترة القرن التاسع عشر التي شهدت مواجهات دامية بين المقاومين الجزائريين وجيش الاحتلال. قدم فيها الشعب الجزائري اروع الامثلة في مقارعة الاستعمار ولقنته بالرغم من عدم تكافؤ القوى دروسا مريرة سجلها ضباطه وجنده في مذكراتهم وتقاريرهم، مما جعلها تحظى بمادة ارشيفية ثرية بالمعلومات التاريخية الصادرة عن مختلف الاجهزة الادارية والمؤسسات الامنية والعسكرية الفرنسية. أما في ما يتعلق بالوصف المادي للوثائق مصدر هذه الورقة العلمية فانها وثائق مكتوبة بخط اليد وتحمل في اغلبها ختم القائد العسكري الذي يصدر الاوامر والتعليمات او المكلف بالعمليات القتالية .تبدو مادتها الورقية في حالة حسنة اما النص المكتوب فهو يتراوح بين الوضوح والغموض أحيانا أخرى.

4- Revue Africaine.Volume 42, Année 1898.P14-15.

نعتمد في هذه الدراسة للتعريف بملحمة سي لزرق بلحاج على المعلومات الواردة في العلب التالية:

(S.H.D.GR1H230.Bis)(S.H.D.GR1H217) المودعة بأرشيف ماوراء البحر في قصر فانسان بباريس و العلبة (A.N.O.M. 11H12) المودعة بمدينة آكس- آون- بروفنس وهي في متناول الباحثين. وأهم ما تبرزه هذه التقارير هو قيام سي لزرق بلحاج باجراء اتصالات مع زعماء العديد من القبائل التي توسم فيها الفعل الثوري لحثهم على الجهاد، ومساندة ثورة اولاد سي الشيخ لتشتيت قوة العدو، وجره الى معارك في فضاء جغرافي محصن طبيعيا، اضافة الى وضع الخطط العسكرية المحكمة التي كانت تستهدف بالاساس مراكز الجيش الفرنسي، حيث كانت منطقتي تيارت وغليزان تمثلان عمقا استراتيجيا ومركزا مؤثرا في المقاومة العسكرية التي اندلعت في الاقليم الغربي.

4- نبذة تاريخية عن مقاومة فليتة للاستعمار الفرنسي:

لقد كانت قبيلة فليتة من اولى القبائل التي ثارت ضد جيش الاحتلال وذلك منذ سنة 1832 بزعامة الشيخ محمد بن عبد الله الفليتي ناشر الطريقة الرحمانية في تلك الربوع الذي انتقم لسكان قلعة بني راشد في البياض والحق هزيمة شنعاء بالجيش الغازي الذي هاجم القلعة وشرد سكانها. [5]وكان ضمن وفد فليتة الذي بايع الامير عبد القادر، وخاض معارك شرسة ضد الاستعمار الفرنسي تحت لواء الامير عبد القادر، ومن ابرزها معركة ظهرة سيدي عبد الله سنة 1835 ومعركة مزغران سنة 1840. ولعل ابرز اخفاق عرفه الاستعمار الفرنسي كان في سنة 1843 حيث تمردت معظم القبائل التي اخضعتها فرنسا مابين معسكر، وتيارت والشلف وغليزان،التي تعتبر معاقل قبيلة فليتةحيث عادت القبائل المنشقة تحت الارهاب الفرنسي الى المقاومة بتشجيع من الامير عبد القادر الذي حثهم على مواصلة الجهاد ضد الغزاة. فثارت القبائل من جديد وخاصة قبيلة فليتة ذائعة الصيت، التي جندت معظم بطونها وتحولت الى بركان انفجر في وجه العدوان الاستعماري. فاكتسبت الميدان، وادرك وقتها جيش الاحتلال ان جهوده قد ذهبت سدا، فلم يبق امام الجنرال بيجو[6] سوى الدفع بقوات كبيرة لعله يحصل على صيد ثمين، غير

5-المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع واعداد عبد الرحمن دويب، الدار المعرفة الدولية للنشروالتوزيع الجزائر، ط 2013، ص 201- 202.

6- الجنرال بيجو (Thomas-Robert –Bugeaud): حاكم الجزائر العام ولد بليموج (Limoges) يوم 15 اكتوبر 1781، تم تنصيبه عريفا في معركة اوسترليدز ديسمبر 1805 ، ثم اصبح ملازم في السنة الموالية ثم انتقل الى اسبانيا وتم ترقيته عقيدا، تم ابعاده من طرف اسرة البربون

ان اولاد سيدي يحي كانوا في انتظاره وحصلت اشتباكات خسرت فيها القوة المهاجمة على عدد من عناصرها وتم آسر حوالي 300عنصر منهم .

وفي 30 جويلية هاجمت فليتة بقوة مؤخرة الجيش الفرنسي ودارت معركة شرسة أيام 4و5 سبتمبر اجبرت جيش الاحتلال على الانسحاب من المنطقة، وفي 24 ماي 1843 نصبت فليتة كمينا لمصطفى بن اسماعيل بين منداس وزمورة واردته قتيلا بعد تم جز راسه ويده اليمنى.[7]

فوجد قادة الاحتلال صعوبات كبيرة في اجبار القبائل المتمردة على الخضوع، وبدأ التفكير في الخطط العسكرية بالتركيز على القبائل شديدة المراس، فركزوا جهودهم على اخضاع قبيلة فليتة التي سببت لهم متاعب كبيرة وافسدت خططهم الرامية الى تثبيت الاحتلال،فتم محاصرتها بواسطة ارتال عسكرية ضخمة[8]يقودها جنرالات من امثال (Lamoricière)لامورسياروبورجولي(Bourjolly)الذين تعودوا على خوض المعارك في المناطق الجفرافيةالمحصنة،وتم اخضاعها بالقوة. وصرح الجنرال بيجو يوم 25 جويلية والسعادة تغمره مخاطبا الجنرال لامورسيارقائلا :" لقد تلقيت تقريركم االمؤرخ بتاريخ يوم 19 جويلية حول العمليات التي اخضعتم فيها فليتة ... لقد قرأت بارتياح كبير لاحدود له حول عملية التنسبق التي قمتم بها مع الجنرال بورجولي، وكنت جد مسرور على هذه النجاحات الباهرة وسوف انقل ماجاء في تقريركم الى السيد وزير الحربية، مرفوقا برسالة الجنرال بورجلي حول المعركة التي خاضها في زمورة. لان قبيلة فليتة ظلت تشكل عقبة امام مشروعنا وخطرا على القبائل المتحالفة معنا، وكانت تعتبر مفتاح الامل بالنسبة للامير الذي اتخذها قاعدة لمواجهة قواتنا هناك.[9]

فاشتغل بالزراعة الى غاية 1830، عقد اتفاقية مع الامير عبد القاد 1836، صاحب سياسة الارض المحروقة ،ترك منصبه يوم 11سبتمبر 1847 للدوق دومال.توفي 10 جوان 1849 .ينظر:

Narcisse-Faucon.Livre d'OR de l'Algérie.Tome 1er.Paris.1889. P140-141.

7- René-Leclerc. Monographie géographie historique de la commune mixte de la Mina.P168-169.

وينظر:لآغا بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود،تحقيق ودراسة،يحي بوعزيو، ج2،ط 2009، دارالبصائر للنشر والتوزيع،الجزائر، ص 208- 209.

8-Service Historique de la défence Paris.GR1H83

9- .Service Historique de la défence Paris.Op,cit.

ولما مر بيجو على قبائل فليتة عام 1841 ، قرر ان يوجه رسالة الى رفاق عبد القادر في النضال ليطلب منهم ان يكفوا عن مساندته. وهذا هو رد فليتة كما رواه الجنرال دوماس : «قلت لنا بان الامة الفرنسية امة كبيرة وقوية. فلتعلم اذن ان العدل منى شيم الكبار الاقوياء. فلماذا تريدون الاستيلاء على بلاد هي ليست لكم؟ واذا كنتم اغنياء. فماذا جاء بكم الى شعب ليس لديه ما يعطيكم سوى البارود...؟ »ان رد فليتة كان مفعما بالتحدي، ولم يبق لديهم سوى الاصرار على مواصلة الجهاد حتى يتم دحر الغزاة.[10]

5- اسباب الثورة:

لايمكن فهم اسباب ثورة سي لزرق بلحاج الا في سياق تسلسل الاحداث التي اعقبت الغزو الفرنسي للجزائر وعلينا ان نضعها في سياقها التاريخي الطبيعي، لان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة معرفة مواقف الزعامات والدينية والقبلية من الاستعمار الفرنسي. واستمرار المقاومة بعد نهاية المشروع الجهادي للامير عبد القادر . حيث تمكنت فرنسا من وأد هذه التجربة بعد ان كلفتها الكثير من المال والجهد، وخسرت العديد من قادتها وجنودها، مستعملة في ذلك كافة الوسائل لاجبار السكان بالقوة على الخضوع والاستسلام. لكن هذا لم يمنع الزعامات القبلية من اغتنام كل فرصة سانحة لمواصلة الجهاد، حيث ترسخت لديها تقاليد جهادية التي دابت مدرسة الامير على نشرها و تثبيتها في نفسية المقاتل الجزائري، بالرغم من بشاعة الاستعمار وتدميره لمصادر قوت القبائل.

ومن جهة اخرى حاول الجنرال لاباسي[11] تقديم مبررات عن اسباب ثورة سي لزرق بلحاج، مدعيا ان عدم قدرة ضباط المكاتب العربية على التسيير الاداري بسبب قلة التجربة

10- مصطفى الاشرف، الجزائر الامة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر، 1983، ص 131.

11- الجنرال لاباسي(Lapasset-Ferdinand-Auguste) قائد عسكري ولد ب (Saint Martin de Ré) يوم 07/29/ 1817 تدرب على الرماية، التحق بمدرسة سان سيرالعسكرية يوم 11/15/ 1835 وتخرج منها برتبة ملازم في 1837/10/1. وقضى مدة تكوينه في المدفعية والفروسية بافريقيا في كل من الجزائر ووهران، ثم تم تعيينه منتدبا لدى الجنرال جونتي(Gentil) وذلك يوم 1842/6/29، ثم تم ترقيته نقيبا يوم 1845/4/24. حقق نجاحات عسكرية في منطقة الونشريس، كما تم الاشادة باعماله وانضباطه من طرف العقيد كان روبار(Canrobert) في معارك 22- 23ماي في منطقة الظهرة، تعلم اللغة العربية وتولى المكتب العربي لتنس في 1846/4/24.وفي 1853/1/21 تم تنصيبه مديرا عاما لقسم الشؤون الاهلية العربية بمقاطعة الجزائر.عاد بعد 1865 الى فرنسا وتوفي هناك يوم 09/16/ 1875.وينظر:

لديهم، اضافة الى تعيين قياد غرباء عن القبائل مما جعلهم يعيشون في عزلة عن محيطهم الجديد، فعاشت هذه القبائل بدون قيادة لمدة طويلة و غياب المراقبة شجعها على استغلال هذاالفراغ في القيام باعمال عدوانية ضد جيش الاحتلال. واضاف ان الاسباب الحقيقية التي يجب البحث عنها تكمن في الطبيعة العدوانية التي تغذيها النزعة الدينية المتآصلة في نفسية السكان[12]. كما حمل الامبراطور نابليون الثالث مسؤولية اندلاع ثورة سي لزرق بلحاج وراى في سياسة اللين التي كان يتبعها سببا في تردي الاوضاع الامنية داخل المستعمرة،[13]اما المؤرخ شارل اندري جوليان ادعى ان قرار مجلس الشيوخ الرامي الى تفكيك االقبلي كان الهدف منه هو تحرير الفرد من تعسف القادة! وذلك بانشاءدواوير- بلديات تتوفر على جماعتها.لكنه اثار قلق الطبقة الارستقراطية الجزائرية لانه كان سيضعفها.[14]لكن الحقيقة التي لم يشير اليها شارل هو ان قرار مجلس الشيوخ سهل عملية انتقال الارض العرشية وتمليكها للكولون خاصة،اما راي قولزيقر-Rey) (Golzeiguer اعتبر قرار مجلس الشيوخ بانه نصف انتصار ولم يصل الى حد ارضاء الكولون الذين انتهزوا فرصة تواطؤ الاداريين مع المحاكم،. وبمبارك الحاكم العام بيليسي(Pélissier)لاسكان الوافدين الاوربيين بسرعة وذلك بسلخ المزيد من أراضي التي كانت بحوزة القبائل.[15]ويبدو ذلك جليا من خلال قيام السلطات الاستعمارية بفتح ابواب الهجرة امام الاوربيين العاطلين عن العمل بالاستقرار في الجزائر. فكانت منطقة غليزان ومستغانم التي تم فيها بناء مستوطنة بوقيراط والشلف من اكثر المناطق المستهدفةلاقامة المراكز الاستيطانية، التي تحتاج لالاف الهكتارات من اجل استيعاب الوافدين الجدد،الى جانب انشاء المزارع في مختلف المناطق الريفية في الجزائر.[16]وهذا مااكده الجنرال بيجو

Narcisse.Faucon : «Livre d'Or de l'Algérie. »Paris 1889.P365-366.
-G.Lapasset.Par un ancien officier du Rhin.Tome premier (1817-1864)Algérie –Metz.Parie 1899.P6.

12-G.Lapasset.Par un ancien officier du Rhin.Tome second (1865-1878)Algérie Metz.Paris 1889.P14-15.

13-G.Lapasset.Op,cit,p14.

14- شارل اندري جوليان: تاريخ الجزائرالمعاصر،الغزووبدايات الاستعمار(1827 1871) ج1،ط، 2013، شركة دار الامة للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص 698.

15- Annie-Rey-Goldzeiguer.Le Royaume Arabe. La politique algériennen de III ,1861-1870.Revue d'histoire moderne et contemporaine.P381.

16-Isnard :La réorganisation de la propriété rural de la Mitidja

قائلا:" ان الاستعمار لن يكون له معنى مالم يتم بناء المستوطنات ."مما ادى الى انفجار معظم الثوارات في الشمال والجنوب و كلها ثوارات ريفية كان وراءها القيادات التي شعرت بالظلم والغبن.

وزعم لاباسي ان سي لزرق بلحاج[17] راى سيدي عبد القادر الجيلاني في المنام الذي أوصاه بالقضاء على المسيحيين الذين لاتؤثر أسلحتهم ورصاصهم فيه.[18] فادعاء الجنرال لاباسي لايمكن فهمه الا في اطار السياسية الفرنسية الرامية الى تشويه القيم الجهادية الراسخة في اعماق المقاتل الجزائري، هي التي اصطدمت بها جيوش الاحتلال وهي التي لقنته بالرغم من عدم تكافؤ القوى دروسا لن تنساها الذاكرة الفرنسية، والحقت بهم هزائم اذهلت قادتهم العسكريين خريجي الكليات الحربية ،مما جعلهم يقومون بتدوينها في مذكراتهم وهي كفيلة بأن تكون مشروع بحث خاص. فالبطل سي لزرق بلحاج هو احد ابرز القادة العسكريين الذين خاضوا معارك دامية ضد جحافل الجيش الاستعماري الغازي. ان الذهنية القتالية لدى المقاتل الجزائري هي التي آهلته لكي يواجه الآلة العسكرية الفرنسية التي اصطدمت به في كل ربوع الجزائر، فالنموذج الحربي الذي قدمه سي لزرق يندرج ضمن منظور استراتيجي غايته دعم الانتفاضات الريفية التي عرفتها الجزائر خلال عقد الستينات. اذن فماهي الاسترتيجية العسكرية التي وضعا القائد سي لزرق بلحاج لمجابهه جيش الاحتلال ؟

6- الاستراتيجية العسكرية للثائر سي لزرق بلحاج:

قبل الاجابة عن هذا السؤال يجب التاكيد على ان انتفاضة فليتة بقيادة الثائر سي لزرق بلحاج، لا يمكن فصلها عن ثورة اولاد سيدي الشيخ التي عمت القطاع الوهراني وامتدت الى الشرق الجزائري. حيث ان احفاد الشيخ احمد بن عودة هذا ايدوا ابناء سيدي

(1846-1867).Paris.P77.

17- ولد سي لزرق بلحاج 1809، بدوار الحمومية‌بلدية قرب وادي السلام 45 كلم شرق غليزان. ابن الحاج بن عودة بن احمد، كان صوفيا ومجاهدا ضد المستعمر الفرنسي و من الزعماء الجزائريين الذين جمعوا بين القيادة الروحية و الزعامة العسكرية ، شأنه في ذلك شأن الزعامات الوطنية التي قادت حركة المقاومة ضد جيش الاحتلال، اذ كان رجل علم ومقدم الطريقة الصوفية الدرقاوية والرحمانية معا. ينظر: سعيدي العربي، ثورة سيدي الازرق بلحاج الفليتي بغليزان 1864، الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، العدد 5، ص 147.

18- G.Lapasset.Op,cit,p20.

الشيخ في ثورتهم على فرنسا[19]. وهذا ما اكده الجنرال لاباسي عندما قال:« انا على يقين بان قبائل التل كانت على اتصال مع الجنوب، وان غزو الجزائر مرة ثانية امر لامفر منه » .[20] فهو بذلك يعبر عن الآسى والحزن الذي ينتابه مما آلت اليه الأمور. وهذا ما ذهب اليه كانروبير في نوفمبر ، اي بعد مرور خمسة عشر سنة على احتلال الجزائر:« مما يدعو الى الحزن والاسى ان اظطر للاعتراف بأن الاحتلال يجب ان يستأنف من جديد » .

ويتساءل ضابط آخر هو دومونتي في نفس تلك الفترة، معبرا عن آسفه:« لا ارى من مستقبل لنا في هذه المستعمرة التي لابد من اعادة احتلالها بعد كل ثلاث سنوات » .[21]

بعد اندلاع ثورة اولاد سيدي الشيخ، حسم الثائر سي لزرق بلحاج موقفه بشكل رسمي ودعا اتباعه من قبائل وعروش ومقاديم الى حمل السلاح للجهاد في سبيل الله، وذلك من خلال القيام بتحركات قادته الى قبيلة اولاد بركات، واولاد سيدي الشيخ بن عيسى الواقعة بين مواطن اولاد عامر واولاد الشريف حيث استقبل هناك بحفاوة كبيرة.[22] وفي اليوم الموالي قصد قبائل بني مسلم ثم زار قبة سيدي معروف وحظي بموافقة اعيان قبيلة الكرايش وحلوية. [23]كما اثمرت جولة سي لزرق بلحاج والتي دامت عدة ايام بتجنيد حوالي أربعة وستين دوارا.[24]

وفي نفس السياق ابلغ القايد الآغا قدور بن مرفي السلطات الفرنسية عن تمرد عدد من الدوايرالتابعة لدائرته وانضمام أولاد بوعلي الى الثورة بطلب من قائدها . وقد شملت عندئذ الثورة قبائل عديدة من مواطن فليته حيث بلغت 18 قبيلة من مجموع قبائل فليتة التي وصل عددها انذاكالى19 قبيلة.

ومن جهة اخرى اوصى مقربيه باجراء اتصالات مع القبائل المترددة التي كانت ترى ان واجبها الديني والوطني يلزمها برد العدوان والانخراط في الثورة ودعم الثوار، لكن دموية الاستعمار الوحشية التي شردت الكثير من القبائل، وسلبت ونهبت ممتلكاتها جعلتهم يتريثون في حسم مواقفهم من الثورة. لكن سي لزرق لم يتأخر في معاقبة القبائل العاصية او المتعاونة مع الاستعمار كما فعل الامير عبد القادر من قبل.

19- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 201.

20- G.Lapasset.T2.Op,cit,p20.

21- مصطفى الاشرف، المرجع السابق، ص 114- 115.

22- A.N.O.M.11H12.Dépèche télègraphique,du 18- 19 mai 1864.

23-11H12 . Ibid.

24- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ط2009 ، دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائر، ص186.

7- انطلاق الثورة:

بعد ان أتم سي لزرق اتصالاته بكل القبائل التي رحب الكثير منها بتفجير الثورة، شرع في جمع الاسلحة ومواد التموين، ويبدو ان استعدادات سي لزرق قد اثارت انتباه جواسيس فرنسا في المنطقة، خاصة وان صدى ثورة اولاد سيدي الشيخ قد وصلت الى كامل الجنوب الغربي، ما شجع فرنسا الى اتخاذ كافة الاحتياطات خوفا من اتساع رقعة الثورة.

وفي يوم 27افريل خرج الجنرال مارتينو (Martineau) و اصطدمت قواته بجيش سي لزرق بلحاج الذي خاض ضده معركة شرسة في خنقة العازر التي قتل فيها تسعة ضباط،وسقط وستة واربعين جنديا بين قتلى وجرحى، بينما فقد الثوار حوالي اربعمائة رجل حسب ما جاء في رواية لاباسي.[25]

ففي برقية مسجلة تحت رقم:5449 ، بتاريخ 19ماي 1864 بعث بها العقيد مارميي(Marmier) المكلف بالشؤون العسكرية في معسكر الى الحاكم العام والى الجنرال دلييني (Déligny)[26] القائد الاعلى لمعسكر،يخبرهما بانه تم رصد تحركات مشبوهة لسي لزرق بلحاج حيث انه غادر زمورة متوجها الى اولاد الشريف بتيارت حيث تقع قبة الشيخ بن عيسى[27]. ويبدو انه اجرى اتصالات هناك للتنسيق العمليات العسكرية مع القبائل المتمركزة في غرب تيارت، وحاول العقيد لاباسي توقيف زعيم الثورة فتصدى له فرسان اولاد بلحايا والشرفة، ودارت معركة بين الطرفين اسفرت عن سقوط خمسة عشرة شهيدا حسب الاحصاء الفرنسي، لكنه لم يقدم ارقاما دقيقة عن عدد القتلى التي مني بها

25- G.Lapasset.T2.Op,cit,p12.

وينظر: ابوالقاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائر(1860- 1900) ، ج1، ط2009، 6، دار الصائر للنشر والتوزيع الجزائر، ص 190..

26- دلييني (Déligny-Edouard- Jean Etienne) قائد المدفعية ولد ب (Ballan – Indre-et –Loire) يوم /1815/12/12 التحق بمدرسة الرماية 1827، ثم انتقل الى المدرسة العسكرية بسان سير تم تنصيبه برتبة ملازم في 20 افريل 1835، شارك في كثير من العمليات العسكرية في مقاطعة وهران وفي المغرب كان آخرها معركة وادي ايسلي 1844. ثم اصبح عقيدا يوم 1852/12/30، قام بغزو سيباو واوصيب فيها بجروح في الراس، رقي الى مرتبة جنرال، وضع تحت تصرف الحاكم العام، الذي كلفه بإعادة تنظيم دائرة تيزي وزو. وينظر:

Narcisse Focaun.Op,cit.P202-203.

27-A.N.O.M.11H12.

جيش الاحتلال[28]، وفي الجهة الغربية انطلقت من مستغانم قافلة لجيش الاحتلال كانت تحمل مواد غذائية، وفي طريقها الى تيارت تعرضت الى هجوم نفذه الثوار ففر طاقهما وتم الاستيلاء عليها. وقد توقع الفرنسيون ان ثورة شاملة ستحدث عندئذ. و ان الجزائريين في الاقاليم الاخرى كلها قد لاحظوا الضعف الفرنسي ولاح لهم الامل في الحرية.

وفي 15 ماي اغتنم الثوار فرصة تحرك العقيد لاباسي الذي نصب مخيمه بالقرب من فرطاسة، وهاجم الثوار مدينة زمورة صباحا ونتج عن هذا الهجوم سقوط ستة قتلى في صفوف المهاجمين ولم يشير التقرير الفرنسي الى عدد قتلى في صفوف جيش الاحتلال الذين اعتادوا على التكتم عن قتلاهم[29]. وانتشر الهلع والذعر بين السكان وازدادت مخاوف المعمرين من تطور الاحداث التي اخذت تتسارع بوتيرة سريعة وبشكل دراماتيكي في منطقة كانت كلها مهيئة لحمل السلاح. فوجه العقيد لاباسي برقية عاجلة الى الحاكم العام يخبره فيها بان قواته لاتستطيع مواجهة الثوار و يطلب منه الدفع بمزيد من القوات ليس لمواجة الثوار وانما لمنع الثورة من الانتشار، وان مالديه من قوات سوف يتم نشرها لتامين الطريق بين تيارت ومدينة الجزائر وتوفير الحماية لمزارع وقرى المعمرين. واضاف قائلا:« لااستطيع دخول مواطن فليتة لانها في حالة هيجان، ولحسن الحظ انني خرجت من زمورة التي تشهد الآن اشتباكات بين المتمردين وعناصر المفرزة.[30] »

8- حادثةالرحوية21ماي 1864:

تحتل الرحوية موقعا وسطا بين تيارت شرقا وغليزان ومستغانم غربا والشلف شمالا،فاهلها موقعها لكي يتخذ منها الجيش الفرنسي مركزا هاما لتموين العمليات العسكرية فأنشأ فيها حصنا به حامية عسكرية هدفها عزل قبائل تيارت عن فليتة. وبذلك اصبحت تشكل هدفا للثوار، فقام فوج من المهاجمين بقيادة الثائر سي لزرق ونفذوا عملية عسكرية استهدفت الجهة المقابلة لحصن الرحوية، ووقع تبادل لاطلاق النار دام عدة ساعات، ثم تواصل الهجوم على الساعة التاسعة ليلا وكان الهجوم هذه المرة عنيفا تسللت خلاله جماعة من المهاجمين الى الجهة الشمالية محملين بالفؤوس، وأضرموا النار في القش فتصاعدت اعمدة من الدخان حجبت الرؤية عن من كانوا بداخله، مما سمح للثوار باحداث ثغرة في الجدار فدخلوا وتمكنوا من القضاء على ثلاثة وعشرين من

28-Ibid.
29-A.N.O.M.11H12.Correspondance.N°3297.
30-Ibid.
-René-Leclerc.Op,cit.P173.

الحراس لم ينجوا منهم سوى واحد يدعى محي الدين بن شيلة الذي روى تفاصيل الحادثة.[31] واستولى المهاجمون على كافة الاسلحة والعتاد الحربي والذخيرة الموجودة داخل الحصن، واحرقوا كل ماهو قابل للحرق فتحول الحصن الى اطلال وكلفت عملية ترميمه حوالي 12000فرنك فرنسي.[32]

وفي 26 و 27 ماي تعرض المركز العسكري لعمي موسى الذي كان تحت حراسة الملازم (Laclanrie) الى هجوم من طرف سي لزرق بلحاج الذي قام بتدمير الحصن و احراق مستودعات جيش الاحتلال، ولم تشير التقارير الى الخسائر البشرية التي الحقت بجيش الاحتلال، فسارعت قيادة الجيش الى الاستعانة بقوات الجنرال مارتينو الذي انطلق من معسكر، في حين تم استقدام طابور ثاني من الشلف بقيادة العقيد (Lallemand) ، اضافة الى طابور لاباسي واستخدموا كافة الاسلحة المتوفرة لديهم لفك الحصار عن عمي موسى، وعلى اثر ذلك انتقل سي لزرق رفقة جيشه ناحية مستغانم مستهدفا مزارع ومستوطنات المعمرين في بوقيراط ويلل وتحطيم وتدمير اعمدة الهاتف لعدة كيلومترات.[33] ومن جهة اخرى رأت جريدة (Constitutionnel)ان سي لزرق ارتكب خطأ استرتيجيا عند لجأ مع جيشه الى الجبال تاركا الطريق مفتوح امام لاباسي، الذي استغل هذا الفراغ في تموين واعادة تحصين المركز العسكري لعمي موسى. وعند عودة لاباسي تعرض الى هجوم في معسكره بسيدي أحمد بن عودة من طرف500 — 1500 فارس استمرت طيلة فترة الصباح، ترك جيش الاحتلال ورائه قتيل واربعة جرحى.

9- استراتيجية فرنسا العسكرية للقضاء على ثورة سي لزرق بلحاج:

وامام تفاقم الوضع الامني في المنطقة واستهداف الثوار لمعسكر الرحوية وتحطيمه والهجوم على مركز عمي موسى، وزمورة، وبني وراغ، اتخذت فرنسا جملة من الاجراءات المشددة لمواجهة تصاعد العمليات العسكرية في المنطقة، والتي باتت تهدد الوضع الامني الهش،ما دفع بالحاكم العام الى ابلاغ وزير الحربية عن خطورة الاوضاع على الفرنسيين والتي اصبحت تستدعي اعلان حالة الحرب الدائمة في الجزائر كما جاء على لسان الجنرال بيجو من قبل .

31-A.N.O.M.11H12.Op,cit.
-S.H.D.GR1H230bis.
-Jules-Duval ,August- Warnier .Bureaux Arabes et Colons .Réponse au constitutionnel poue faire suite aux lettres aM.Rouher.
Paris .P116.
32-A.N.O.M.11H12Op,cit.

فتم ارسال قوات اضافية من فرنسا التي وصلت الى ميناء مستغانم يوم 28 ماي لانقاذ الموقف المتأزم جراء انتشار الثورة في الجزائر عامة وفي غليزان خاصة، وكان الفوج بقيادة الجنرال روز(Roze)[33]قد قطع المسافة بين فرنسا والجزائر في ظرف ثمانية ايام وصل الى غليزان يوم 30ماي، وكانت مهمته القيام بعمليات عسكرية ضد فليته التي عجز قادة الاحتلال على كسر شوكتها، وبعد استكمال عمليات التحضير انطلقت من وهرات قوات اخرى تتكون من ستة فيالق سلكت ثلاثة منها طريق البر، ثم عبر ثلاثة طوابير اخرى البحر بقيادة العقيد(Morandy)لنجدة القوات الفرنسية هناك.[34]

وفي يوم 29ماي بعث العقيد لاباسي ببرقية الى الحاكم العام وفيها خطة عسكرية مفصلة تقضي بمحاصرة قبيلة فليتة عن طريق الدفع بثلاثة طوابير عسكرية بقيادة جنرالات تم اختيارهم بعناية يتوفرون على قدرات قتالية عالية قصد تحقيق نصر نهائي.

الفرقة الاولى: اسندت قيادتها الى العقيد لاباسي تنطلق من الشلف مرورا بقلتة بوزيد ثم العمامرة، بني سعيد،شوالة قاصدا مركز الرحوية، و اثناء السير واجهت حملته مقاومة عنيفة.

الفرقة الثانية: اسندت رئاستها للجنرال رزو انطلقت من زمورة ووجهت الى مواطن فليته وتسلك مرتفعات مرة على اليمين ومرة على اليسار لوادي مناصفة.

الفرقة الثالثة: اسندت قيادتها للجنرال مارتينو[35]، غادرت زاوية سيدي احمد بن عودة اتخذت من الطريق الاسترتيجي الذي شقه لاباسي من قبل عند نقطة افتراق وادي مينا ووادي خلوق ومناصفة، ثم تتجه نحو الرحوية.[36]

33- الجنرال روز(Roz- Etienne- Hugues) ولد بتولون(Toulon)في 1812/09/23 ، التحق بمدرسة سان سير العسكرية وتخرج منها في المدفعية ترقى الى رتبة نقيب ثم اصبح مقدم بتاريخ 1852، شارك في غزو منطقة القبائل 1837، ثم ترقى الى رتبة جنرال ، واصبح قائد قوات المدفعية ، شارك في العملية العسكرية في شهري ماي وجوان 1864 ضد قبيلة فليته. ثم أحيل على التقاعد يوم 23ماي 1872.

Narcisse Focaun.Op,cit.P 533.

35-S.H.D.GR1H217.Journal de marche et ses opération militaires Du 21 au31mai 1864.

-René-Leclerc.Op,cit.P174.

35- الجنرال مارتينو: (Emile- Philipe-Martineau de Chensez)عين في 1844/1/3 برتبة نقيب في فرقة المقاتلين الاهالي للجزائر، وفي 1850 تولى بالوكالة خلفا للقائد الاعلى لبجاية ، وفي 1863 تم تنصيبه قائدا اعلى لسيدي بلعباس ، قاد عدة عمليات مطاردة ضد ثوار اولاد سيدي

وفي اليوم التالي بدأت عملية مطاردة فليته وذلك من خلال تقدم الطوابير الثلاثة باتجاه المرتفعات الغابية لاولاد سيدي يحي وقطع الطريق على الثوار المتجهين نحو الغابات للايقاع بالهاربين، وبعد عشر ايام من المطاردة لم يتم اجبار قبيلة فليته على الاستسلام كما جاء في الخطط العسكرية التي وضعها قادة الاحتلال. فكان من نتائج الحملة العسكرية اخضاع قبيلة الكرايش، وبني وراغ،واولاد يحي، الظهرة. واسروا حوالي اربعمائة رجل بطريقة عشوائية واستولوا على مواشيهم، ووجهت لخمسة واربعين منهم اتهامات بالوقوف وراء عمليات القتل وتخريب ممتلكات المعمرين، ثم نفذ فيهم حكم الاعدام.[37]

10- صمود الثوار واستشهاد زعيم قبيلة فليته:

رغم هذا التجنيد الواسع للقوات الفرنسية، والتعبئة المكثفة لها فان الثورة واصلت سيرها من خلال تنفيذ العمليات العسكرية، حيث قام سي لزرق باستهداف طابور لاباسي الذي كان في طريقه الى غليزان، لكن وصول الجنرال روز قادما من تاقدمت دفع بسي لزرق الى تعديل خطته، وانتقل الى تدمير وقطع اعمدة الهاتف التي تربط بين غليزان ومستغانم.[38]

وبذلك تبخرت الخطط العسكرية وجهود القادة الميدانيين خريجي الكليات الحربية، فكان حصادا مرا تذره الرياح، وعجزت السلطات في القبض عن سي لزرق بلحاج، واعجز البحث عنه طوابير وأرتال تعتبر من أقوى الجيوش في اوربا، مما جعل الضباط الفرنسيين يشعرون لا بالسخط عليه بل باليأس والقنوط.

وبذلك تحولت العمليات العسكرية الى عمليات عبثية لاطائل من ورائها وهذا ماقاله الجنرال دي ويمبفن (de Wimpffen) الذي كان وليا عاما على الجزائر :« أمام هذا العدو، قد لا يكفي جيش يتألف من مائة ألف جندي، ومهما اتلفنا المحاصيل الزراعية، وقطعنا الاشجار، وأحرقنا الدواوير، وفتكنا بالعرب ،فلا تكاد طوابيرونا تغادر المكان حتى نظطر لإرسال الجيش من جديد » (يعني الى نفس المكان) .

الشيخ كما شاركك في عمليات عسكرية ضد قبيلة فليته ، وفي 1865 أصبح رئيس قسم العمليات العسكرية لمستغانم. ينظر:

-C.A.O.M.GGA.12X/233.

36-A.N.O.M.11H12Op,cit.

37-A.N.O.M.11H12.Op,cit.

38- S.H.D.GR1230BIS.Op,cit.

وهكذا نرى ان قبائل فليته التي خربت اراضيها لم تكن تهاجر طلبا للامن والهدوء، بل لكي تواصل المقاومة تحت لواء زعيمها لزرق بلحاج. ولئن لم يستطع ان يحقق نصرا على ذلك الجيش الذي بلغ مائة الف جندي وضابط، وعلى تلك الفيالق المدججة بالسلاح فقد استطاع ان يربك خططها ويشتت شملها وان يبث فيها الخوف والرعب.

وفي 31ماي تم قتل قائد الشلوغ من طرف احد الثوار الذي التحق بسي لزرق بلحاج :[39]فتمرد دوارين خوفا من الانتقام الذي قد تقدم عليه عائلة القايد بمساعدة القوم المنتمين لفرنسا، وفي شمال تيارت قام سي أحمد ولد قاضي بنشر قومه في المنطقة الفاصلة بين الرحوية وغليزان خوفا من اي تواصل قد يحدث بين القبائل الثائرة في تيارت وغليزان.

وفي يوم 02جوان علمت السلطات الفرنسية من مصادرها هناك، بتحرك قايد اولاد بوعفان الحاج محمد بن مختار رفقة 18 خيمة والتحقوا بثوار فليتة، حيث كان على اتصال بسي لزرق بلحاج، فتحرك قوم فليتة غير بعيد عن معسكرات جيش الاحتلال لتأمين الطريق لهم. فاقدمت فرنسا على الفور الى الانتقام منهم بحرق بيوتهم ومحاصيلهم الزراعية، فرد الثوار على ذلك بمهاجمة أرتال لاباسي، ودارت معركة طاحنة انتهت بمقتل جندي وسقوط اربعة جرحى من جيش الاحتلال[40]. وفي يوم 03جوان هاجم سي لزرق قلتة بوزيد اين كان يعسكر المقدم ماندي المكلف بحماية المركز ولم تسفر العملية عن قتلى او جرحى. وفي 04جوان وصل الجنرال روز الى دار بن عبد الله وأقام فيها حصنا ثم شيد فيه غرفة للعمليات العسكرية، كان الثوار يراقبون تحركاته وبعد غروب الشمس اقتربوا من الحصن، ونصبوا كمينا للجنود الذي خرجوا من اجل التزود بالمياه فباغتهم الثوار من خلف الاشجار وقطعوا رؤوسهم.[41]

وفي يوم 5جوان دعا سي لزرق اتباعه الى الاستعداد لمهاجمة طابور العقيد لاباسي، وبعث بسرية للاستطلاع لمراقبة تحركات جيش الاحتلال الذي يبدو انه مازال يبحث عن تحقيق نصر ولو على حساب السكان. وكانت خطته تقضي بعزل طابور الجنرال روز عن باقي الطوابير الاخرى، ثم توجيه ضربة عسكرية خاطفة لجيش الاحتلال، لكن وصول

39-Ibid.

40-- S.H.D.GR1230BIS.Op,cit.

41-G. Déhon-Dahlmann. Hitorique du 12 régiment d’infantrie de ligne paris 1877 ;p82

الجنرال روز مع قوات الجنرال مارتينو افسد خطته، فغير من استراتيجيته وقام بتوزيع قواته على النحو التالي:

1_ بعث بقوات هامة لتحييد الجنرال لاباسي في حالة مهاجمة طابور الجنرال روز.

2_ ارسال جزء من قواته والتي كانت مهمتها اشغال قوات الجنرال مارتينو من دون مهاجمتها، والاكتفاء بالدخول معها في مناوشات.

3_ اما الهدف الرئيسي من الخطة هو مهاجمة الجنرال الروز في دار بن عبد الله وهذا ماتم بالفعل حيث دارت معركة طاحنة بعد الثانية زوالا اسفرت عن عدد كبير من القتلى في صفوف المهاجمين واستشهاد الثائر سي لزرق بلحاج، بينما ذكرت التقارير الفرنسية جرح عدد من ضباط وجنود الاحتلال.[42]

11- مبايعة سي عبد العزيز واستمرار المقاومة:

علمت السلطات الفرنسية عن طريق الآغا سي احمد ولد قاضي حضور اثنين من المرابطين الذين قاموا بمبايعة عبد العزيز زعيما للثورة خلفا لوالده سي لزرق بلحاج، وكان تزعمه للثورة قد شجع أيضا العديد من القبائل على مواصلة الجهاد و تقديم الدعم والمساندة منها اولاد سي لزرق، وبني فرقان، وشوالة، واولاد سيدي يحي بن عامر.[43]

واصرت قبيلة فليته على مواصلة الجهاد رغم فقدانها لقائدها وعدد من فرسانها. في حين واصلت فرنسا عملياتها العسكرية وذلك بافراغ مطامر فليته وحرق محاصيلهم الزراعية ومعاقبة الآهالي لاجبارهم على الخضوع، كما استعملت فرنسا نفوذها لدى بعض المرابطين ليطلبوا من فرسان فليته ان يكفوا عن مقاومة فرنسا، ويبدوا ان قادة الاستعمار قد لجأوا الى احلال الدبلوماسية محل العمل العسكري كوسيلة للوصول الى تحقيق اهدافهم.

وفي 16جوان حاول الجنرال لاباسي بمعية الجنرال ليبير(Liebert)[44] تنفيذ عمليات عسكرية مشتركة ضد قبيلة المناصفة، التي كان مازال في استطاعة فرسانها تكبيد

42-A.N.O.M.11H12.Op,cit.

43-Ibid.

44- ليبير (Liebert) ولدليبير يوم 1810/07/17 بباريس، عين في جانفي 1846 نائب القائد الاعلى لبسكرة وهو برتبة ملازم ، ثم اصبح نقيبا يوم 1846/12/13 في الفرقة الاولى للمقاتلين بالجيش الافريقي عين قائدا اعلى لبسكرة من 1853/10 الى غاية 1859/07 ، ثم قائد قسمة مليانة ، شارك في ضرب مقاومة اولاد سيدي الشيخ ، كما ساهم في تقويض ثورة فليته 1864، توفي في سنة 1895.ينظر:

العدو خسائر فادحة، لكن الاختلال في موازين القوة جعل خسائر جيش الاحتلال احيانا تكون قليلة وهذا ما اسفرت عنه المعركة التي جرت في مواطن القبيلة حيث خسر العدو اثنين من جنوده وسبعة عشرة جريحا. ما دفع بفرنسا الى تحريك قوة ضخمة باتجاه قبائل مناصفة وشكالة وشوالة، وكانت الخطة تقضي بان يعسكر الجنرال مارتينو في بوشتوت لمنع الثوار من التسلل نحو الجنوب، اما طابور الجنرال روز قصد دار بن عبد الله لتطويق الثوار الذين تعهدوا بمواصلة الجهاد بقيادة الثائر الجديد، واستمرت المعارك بكل ضراوة تمكن من خلالها جيش الاحتلال على اجبار بعض القبائل على الخضوع مقابل شروط قاسية.[45]

ولما لم يكن في وسع قبيلة المناصفة الايفاء بتعهداتها وذلك بتقديم خمسمائة بندقية لفرنسا وفق مانص عليه الاتفاق المفروض على القبيلة، قام الجنرال ليبير بالانتقام منها فدمر خمس قرى وقتل ستة وثلاثين عنصرا من ابناء القبيلة، اما لاباسي فقام من جهته بقتل ثمانية وستين رجلا وآسر ثلاثين امرأة والاستيلاء على ستمائة رأس من الماشية، ومع ذلك قتل الثوار عنصر من القوات المهاجمة وجرح ثلاثة.[46]

ان الهزائم التي مني بها جيش الاحتلال امام المقاومة الجزائرية جعلتهم يشعرون بمركب النقص وذلك من خلال ضرب السكان واظهار القوة والطغيان امامهم، والمقاومة من جهتها شعرت بمركب الكمال ورات ان الهزيمة التي لحقت بهم منذ الاحتلال لم تكن انهزاما لهم بقدر ماكانت انهزام للعنصر التركي صاحب مقاليد الحكم، وان الاحتلال يمكن ان يزول عندما يتوحد الشعب الجزائري وهذا ليس ببعيد.

وفي جوان نسق الفرنسيون هجوماتهم وقواتهم، للقضاء على الانتفاضة التي اصبحت تهدد الاقليم برمته، فتوجه طابور الى عين الحمرة وفي طريقهم رصدوا تحرك قبيلة حلوية الغرابة في طريقها الى عين الحمرة التي تقع على مرتفعات شديدة التحصين

R-Peyronnet.Livre d'or des officiers des affaires indigène(1830-1930) .T.2.Alger 1930.P388.

45-A.N.O.M.11H12.Op,cit.

و ينظر: العربي بوعناني، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830- 1908 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018- 2019، ص 177.

46-A.N.O.M.11H12.Op,cit.

فتلقى رئيس المكتب العربي لزمورة امرا بملاحقتهم، فدارت اشتباكات بين الجانبين اسفرت عن مقتل عنصر من القومية، وغير بعيد كان الجنرال ليبير والعقيد كولينا يواصلان حرق المحاصيل الزراعية والقرى لقبائل اولاد فارس وبني لوما وشكالة، واثمرت هذه السياسة العقابية المتواصلة على اخضاع اولاد فارس واولاد بركات في حين ظلت قبيلة شكالة على خط المقاومة.[47]

22جوان توجه الجنرال لاباسي على راس كتيبة من الجنود والخيالة حاملين معهم الفؤوس لتفقد مركز الرحوية والتاكد من ان الثوار لم يقوموا بنبش الحفرة التي تم فيها دفن قتلى حادثة الرحوية، وفي طريقه تلقى رسالة من الحاكم العام يامره بالتوجه الى المكان الذي يعسكر فيه مع حراسه، وتم اللقاء بحضور مارتينو حيت تم مناقشة الخطط العسكرية للايام القادمة.

وبناء على برقية من الحاكم العام توجه قوم تيارت بقيادة الملازم ها(Hay)رئيس المكتب العربي لتيارت وقوم صدامة بقيادة سي احمد ولد قاضي وقوم البرج بقيادة النقيب (Clarinale)رئيس المكتب العربي لمعسكر، والاغا قدور مرفي لمحاصرة موطن فليتة في بوشتوت، عند ملتقى نهر مينا لمنع الثوار من التسلل الى القبائل المجاورة ثم واصل الفرسان والقومية حرق حقول الشعير قرب بني راشد.

وفي مطلع شهر جويلة كانت فرنسا قد تمكنت من اخضاع معظم قبيلة فليته، وبدأت الاستعدادات العسكرية لخوض المعارك في منطقة تيارت بعد مهاجمة سي محمد ولد حمزة للمركز العسكري في فرندة، وامتداد لهيب الثورة الى الجلفة المدية بوغار عين وسارة.

12- الخاتمة:

تميز عقد الستينات بإنفجار عد ة ثوارات، فكانت ثورة فليته بقيادة سي لزرق بلحاج واحدة في واقع الامري ثورة واحدة متصلة الحلقات الا انها من حيث المكان والقيادات كانت متعددة، لقد ابانت هذه الانتفاضات عن سياسة استعمارية ممنهجة قوامها البطش والقمع وتجريد السكان من مصادر الرزق.

47–Ibid.

وينظر: العربي بوعناني، المرجع السابق، 178.

ان الهدوء الذي صنعته الآلة العسكرية لم يدم طويلا، والامن الذي كان يحلم به المعمرون قد تبخر في لمحة البصر، حيث ثارت القبائل تحت قيادات مختلفة كان هدفها التخلص من هذا الاستعمار البغيض.

لقد كشفت المعارك التي خاضتها قبيلة فليته عنى هشاشة جيش الاحتلال، واستطاعت ان تهزمه في معارك عدة، لولا التفوق العددي والمادي وخيانة بعض القبائل التي ساعدت جيش الاحتلال بالمعلومات الاستخباراتية وتكوين قوات رديفة للاحتلال.

ومن العوامل التي ساعدت الاحتلال على قمع الثوارات، هو تعدد القيادات في غياب التنظيم وعدم وجود هيئة أركان مشتركة تدير العمليات العسكرية بالتنسيق مع كافة القيادات المحلية، لكنها مع ذلك الفارق في القوة والتنظيم استطاعت ان تلقن المحتل دروسا مريرة راى الكثير من قياداتهم بأنها جديرة بتسجيلها في مذكراتهم، قصد دراستها والاستفادة منها.

إنتهت ثورة فليته بتسليط عقوبات قاسية وصلت الى حد الاعدام العشوائي للسكان وتشريد الكثير منهم وسلب ارزاقهم باحالتهم على الموت البطيء، من اجل ارغامهم على الخضوع. ومع ذلك لم يثنيهم هذا الارهاب على منازلة العدو في جولات قد لا تكون بعيدة زمنيا، وهكذا تبين للفرنسيين انهم لايتم لهم فتح منطقة حتى يضطروا الى اعادة فتحها من جديد.

أولا- البيبليوغرافيا العربية:

بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود ،تحقيق ودراسة يحي بوعزيو، ج2، الجزائر، دارا لبصائر للنشر والتوزيع، ط 2009 .

ابوالقاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائر(1860- 1900) ، ج1، ط2009، 6، دار الصائر للنشر والتوزيع الجزائر.

الاشرف مصطفى ،الجزائر الامة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر، 1983 .

البوعبدلي المهدي ، تاريخ المدن، جمع واعداد عبد الرحمن دويب، الدار المعرفة الدولية للنشروالتوزيع الجزائر، ط 2013 .

جوليان شارل اندري: تاريخ الجزائر المعاصر ،الغزووبدايات الاستعمار(1827 1871) ج1، ط ، 2013، شركة دار الامة للنشر والتوزيع ،الجزائر.

يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ط2009 ، دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائر.

المنجد الأبجدي ، دار المشرق ش.م.م. المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط8، 1986.

العربي بوعناني، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830- 1908 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018- 2019.

عابد سلطانة ، التراتبية الاجتماعية بباياليك الغرب واثرها على مقاومة الامير عبد القادر (1832- 1847) مقاربة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية(آغاليك مجاهر، قايدةفليتة، آغاليك الشرق أنموذجا) رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2010- 2011.

سعيدي العربي، ثورة سيدي الأزرق بلحاج الفليتي بغليزان 1864، الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، العدد 5.

المصادر الارشيفية:

Série : Affaire indigènes

- A.N.O.M.11H12 :Rapports insurrections(1864-1865).
- C.A.O.M.GGA.12X/233.

S.H.D/GR/H :

-S.H.D.GR1H217BIS :Journaux des marches extraits historiques.
-S.H.D.GR1H230bis. Insurrection dans la subdivision de Mascara, 1864.
-S.H.D.GR1H83.Opérations militaires 1842

2-المصادر الأجنبية المطبوعة:

1-Colette- Auzas. Bulletins et mémoires de la société de Paris . Les Flittas étude ethnologique et sérologique.

2-G. Déhon-Dahlmann. Hitorique du 12 régiment d'infantrie de ligne paris 1877.

3-G.Lapasset.Par un ancien officier du Rhin.Tome premier (1817-1864)Algérie –Metz.Parie 1899.
4-G. Lapasset.Par un ancien officier du Rhin.Tome second (1865-1878)Algérie Metz.Paris 1889.

5-Isnard : La réorganisation de la propriété rural de la Mitidja (1846-1867).Paris.
6-Jules-Duval ,August- Warnier .Bureaux Arabes et Colons .Réponse au constitutionnel poue faire suite aux lettres a M.Rouher. Paris
7-Narcisse-Faucon. Livre d'OR de l'Algérie. Tome 1er.Paris.1889.

8-René-Leclerc. Monographie géographie historique de la commune mixte de la Mina.

9-R-Peyronnet. Livre d'or des officiers des affaires indigène(1830-1930) .T.2.Alger 1930.

1-Rinn –Louis. Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey. Revue Africaine. Volume 42, Année 1898.

2-Annie-Rey-Goldzeiguer.Le Royaume Arabe. La politique algérienne de III ,1861-1870.Revue d'histoire moderne et contemporaine.